الإرجاف وأثيرت الشكوك وحاول بعض شداة الأدب وغيرهم من حملة الأقلام أن يتمردوا على قوانينها في ثورة لغوية جارفة، وأظهروا الدعوة إلى استبدال لهجة التخاطب الشائعة بالفصحى وقالوا مثل ذلك في الكتابة واحتدمت المناقشات بين فريقين ممن الأدباء والكتاب، ولنا أن نقول هذا اليوم مغتبطين إن هذه المعركة القلمية ألقت أوزارها أو هي موشكة، وإن الفصحى خرجت ظافرة موفورة الكرامة بعد ذلك، وإن الدعوة الناشرة إلى استبدال العامية بها منيت بخذلان عظيم وباءت بخزي فظيع.

هكذا افتضح المرجفون والشاكون المشككون على اختلاف طبقاتهم فهذا مأجور مدسوس كلف عبثاً بهدم بناء شامخ وتبديد شمل جامع، وهذا جاهل عاجز حاول ستر جهله وضعفه بما لفقه الملفقون حول الفصحى، وثالثة الأثافي مقلد غر مأخوذ بكل ما يقوله بعض الاعاجم والمستشرقين في هذا الموضوع.

أجل لنا أن نقول إن المعركة انتهت أو شارفت وإن لغتنا خرجت ظافرة منها وها هو الذوق اللغوي السليم يشيع في ديار العربية بأسرها وها هي لهجاتنا في جميع الأقطار العربية أدنى إلى الفصحى منها قبل جيل مضى، وقد مرنت الألسنة على ضرب من النطق الصحيح ومرد ذلك إلى عوامل في مقدمتها ازدياد عدد المتعلمين وتقلص ظل الأمية وإقبال الناس على المطالعة والقراءة، ومن الغلاة في التحيز إلى العامية من ينادي الآن بالرغبة في التوفيق والإصلاح بينها وبين الفصحى، وهل العامية إلا الفصحى نفسها محرفة أو ملحونة، وفي لهجات التخاطب ألوف من الكلمات يمكن رد الاعتبار إليها وإجازة استعمالها بشيء من التخريج، ويذهب بعض الباحثين من هؤلاء إلى أن التباين بين كثير من الفصيح والعامي مبالغ فيه وأن الشقة ـ وإن اتسعت ـ إلا أن التوفيق ليس بمتعذر بل هو واقع فعلا، وإصلاح المنطق وتقويمه في العالم العربي يسير سيراً حسناً ـ كما مر ـ ومن العوامل الفعالة في هذا التوفيق والنجاح انعقاد المؤتمرات العلمية والثقافية واللغوية في دورات سنوية متتابعة وتنظيم المواصلات والرحلات ولا ينكر أثر الصحافة والمذياع ودور النشر والطباعة في هذا الشأن.

اللغة و الاهداف القومية: